السـنة النبـوية

(إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي لو تولى أمر العالم اليوم، لوفق في حل مشكلاتنا بما يؤمّنُ السلامةَ والسعادةَ التي يرنو إليها العالم).

الفيلسوف الإنجليزي جورج برناردشو

تأتي السنة النبوية في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث أهميتها وأثرها، فقد كان النبي ﷺ رحمة للعالمين، ودعا إلى كل خير وحق وإلى العدل والمساواة والأخوة بين الناس، وكانت حياته وسيرته مثالاً يحتذى في الأخلاق وفي السلوك السوي المستقيم.

تعريف السنة النبوية:

السنة - في اللغة - هي: الطريقة والسيرة[1]، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾(الأحزاب: ٣٨).

والسنة في الاصطلاح: ما صحَّ عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير[2].

مثال القول حديث: **(إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)**[3]. ومثال الفعل: كيفية صلاته وحجه ﷺ. ومثال التقرير: أنه ﷺ رأى الحبشة يلعبون في المسجد بحرابهم، فلم يعنفهم، فهو إقرار منه ﷺ لفعلهم[4].

---

(1) **ابن فارس:** أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥ هـ، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د. ت، ٣/ ٦٠ - ٦١.

(2) هذا تعريف الأصوليين للسنة، ويضيف المحدثون في آخره: **(أو صفة)**، أنظر: **عتر:** د. نور الدين، **منهج النقد في علوم الحديث**، دار الفكر، دمشق، ط ٣، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣م، ص ٢٧ وما بعدها.

(3) رواه **البخاري**، كتاب الأدب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت حديث رقم: ٥٧٦٩، ج٥، ص٢٢٦٨.

(4) أصل القصة عند البخاري عن عاشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: **(لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ)**، رواه **البخاري**، كتاب أبواب المسجد، باب أصحاب الحراب في المسجد، حديث رقم: ٤٤٣، ج١، ص١٧٣.

أهمية السنة النبوية:

تُشكل السنة النبوية مصدراً أساسياً وشاملاً للمعرفة، وذلك بما حوته من أحكام وتوجهات في شتى ضروب الحياة وأبواب المعرفة وجوانب الحضارة فضلاً عن جوانب الغيب والعقيدة. فهي شاملة بشمول هذا الدين العظيم[1].

والسنة النبوية ملزمة لكل مسلم، ولا يجوز لأحد أن يدعي الاستغناء عنها، زاعماً أن القرآن الكريم قد بين كل شيء فيجب الاقتصار عليه.

ذلك أن السنة النبوية، في الحقيقة، ليست اختراعاً من عند النبي ﷺ، وإنما هي وحي من الله تعالى ولكن بالمعنى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(النجم: ٣ - ٤).

والقرآن الكريم نفسه ألزم المسلمين الأخذ بها، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧).

ومن الناحية العملية، فإن من يزعم الاستغناء عن السنة النبوية، لا يستطيع القيام بكثير من فرائض الإسلام وشعائره التي أمر بها القرآن الكريم نفسه، ذلك أن القرآن الكريم جاء بأصول الشريعة وقواعدها العامة، تاركاً للسنة أن تبين ذلك وتشرحه وتفصله، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(النحل: ٤٤).

مثلاً: أمر القرآن الكريم بإقامة الصلاة، ولم يبين عدد الصلوات المطلوبة وهيئاتها وركعاتها وما يقرأ فيها، وكذلك فرض القرآن الكريم الحج والزكاة والصيام، فجاءت السنة النبوية لتبين أحكام ذلك كله بالتفصيل.

أتأمل: قال رجل للصحابي عمران بن حصين ﷺ، وكان جالساً مع أصحابه: (لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال له عمران: أدنه، فدنا، فقال: أرأيت لو وُكِلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً، وصلاة العصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً تقرأ في اثنتين؟ أرأيت لو وُكِلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد الطواف في البيت سبعاً، والطواف بالصفا والمروة؟ ثم قال: أي قوم، خذوا عنّا، فإنكم والله إلا تفعلوا لَتَضِلُّنَّ[2].

---

(1) **القرضاوي**، د. يوسف، **السنة مصدراً للمعرفة والحضارة**، دار الشروق، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٨م.

(2) أخرجه **البغدادي**: الخطيب أحمد بن علي، **الكفاية في علم الرواية**، تعليق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ص٢٠.

عناية المسلمين بحفظ السنة النبوية:

انصرف علماء جهابذة، من الصحابة ﷺ ومن بعدهم، إلى العناية بالسنة النبوية، وكرَّسوا حياتهم لحفظها وجمعها وتدارسها وتعلمها وتعليمها وتناقلها والعمل بها وتدوينها، وقد تواترت القصص التي تُظهر مدى شدة اهتمامهم بالسنة النبوية وبحفظها، حتى قطعوا المسافات الطويلة وعانوا المشقات الكبيرة، في سبيل سماع الحديث الواحد منها.

جاء عن عمر ﷺ أنه قال: (**كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ**)[1].

ورحل جابر بن عبد الله ﷺ، مسيرة شهر في طلب حديث، يقول عن نفسه:

(**بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَن رَجُلٍ سَمِعَهُ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاشْتَرَيْتُ بَعِيراً ثُمَّ شَدَدْتُ رَحْلِي عَلَيهِ، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْراً، حتَّى قَدِمْتُ عَلَيهِ الشَّامَ، فَإِذَا عَبدُ اللهِ بن أُنَيْسٍ، فَقُلْتُ للبَوَّابِ: قُلْ لَّهُ جَابِرٌ عَلَى البَابِ، فَقَالَ: ابنُ عبدِ اللهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوبَهُ فَاعْتَنَقَنِي وَاعتَنَقتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثاً بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي القِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَموتَ أو أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ...**)[2].

دواعي حفظ السنة النبوية:

هَيَّأ الله تعالى دواعي العناية بالسنة النبوية وحفظها لدى المسلمين في كل عصر، ومن أهم تلك الدواعي:

- المكانة العظيمة التي تبوأها النبي ﷺ في نفوس المسلمين في كل العصور.
- حث القرآن الكريم المتكرر على طاع النبي ﷺ والاقتداء بسنته.
- حاجة المسلمين للسنة للعمل بها، واستنباط أحكام المستجدات منها.
- القدرة الكبيرة التي كان يتميز بها العرب على الحفظ عن ظهر قلب[3].

أفكر: كان العرب حين البعثة أمّةً أمّيَّةً، لا تقرأ ولا تكتب، فهل أثر الأمّيَّةِ على قوة الذاكرة، أثر إيجابي أم سلبي؟

---

(1) رواه **البخاري**، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، حديث رقم: ٨٩، ج١، ص٤٦.

(2) رواه **ابن حنبل:** أحمد بن محمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، مؤسسة قرطبة، القاهرة، مسند المكيين، حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، حديث رقم: ١٦٠٨٥، قال شعيب الأرنؤوط: **إسناده حسن**، وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد هكذا: رواه **أحمد**.

(3) **عتر:** د. نور الدين، **منهج النقد في علوم الحديث**، مرجع سابق، ص ٣٧ - ٣٩.

منهج علماء المسلمين في التثبّت من المنقول عن النبي ﷺ

وضع علماء المسلمين منهجاً علمياً مُحكماً للتثبّت من المنقولات المنسوبة إلى النبي ﷺ، يقوم على قواعد علمية دقيقة، وهو منهج فريد وجديد في التثبت من الروايات المنقولة، لم يُسبق المسلمون إلى مثله.

ويتعلق هذا المنهج بناحيتين: سند الحديث الشريف، ومتنه:

أتعلم: السند هو: سلسلة الرواة الذين رووا الحديث الشريف، والمتن هو: نص الحديث الشريف كما صدر عن النبي ﷺ[1].

منهج نقد سند الحديث الشريف:

وضع العلماء قواعد علمية للتثبت من صدق كل راو فيما يرويه، فيما يُعرف بـ(عدالة الراوي)، والتي يمكن التعبير عنها بلغة العصر بـ(الأمانة العلمية)، وكذا التأكد من صحة سماع الرواة بعضهم من بعض، ومدى قوة حفظهم وضبطهم لما ينقلوه، ويمكن التعبير عن ذلك بلغة العصر بمصطلح (الكفاءة العلمية).

وقد بلغ من عناية علماء المسلمين ودقتهم في نقد السند، أنهم كانوا يرفضون رواية من عُرفَ بالتقوى والصلاح، إذا كان في ضبطه وحفظه ضعف، يقول الإمام يحيى بن سعيد القطان: (آتمن الرجل على مائة ألف، ولا آتمنه على حديث)، ويقول الإمام مالك: (لا يؤخذ العلم من،...، رجل له فضل وصلاح وعبادة، لا يعرف ما يحدث) [2].

وترجع بدايات هذا المنهج إلى عهد الصحابة ﷺ، فقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، يشترطان - في بعض الأحيان - أن يأتي الراوي من الصحابة براوٍ آخر يشهد معه أنه سمع ما سمعه من النبي ﷺ، وكان علي رضي الله عنه يستحلف الراوي من الصحابة أن ما يرويه قد سمعه من النبي ﷺ.

---

(1) **الصباغ:** محمد بن لطفي، **الحديث النبوي، مصطلحه، بلاغته، كتبه**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٦، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(2) **البغدادي:** الخطيب، **الكفاية في علم الرواية**، مرجع سابق، ص ١٤٦ - ١٤٧.

وقد طوّر العلماء بعد الصحابة ﷺ هذا المنهج، ووضعوا علوماً للتثبت من الرواية السماعية، لم توجد عند غيرهم من الأمم، مثل:

- **علم مصطلح الحديث الشريف**، وهو: (العلم بقواعد يُعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول أو الرد). ومن أهم مقررات هذا العلم: وضع قواعد تحدد شروط الحديث الصحيح ومراتبه، وقواعد تحدد مراتب الحديث الضعيف، ومتى يتقوى بغيره ومتى لا يتقوى.

- **علم الجرح والتعديل**، وهو: (العلم الذي يبحث ويبين بالتفصيل أحوال كل راوٍ من رواة الحديث الشريف، من حيث قوة الحفظ والضبط والعدالة الدينية)، وكان من ثمرات هذا العلم تصنيف الرواة إلى مراتب، فهناك الثقات، وهناك الضعفاء، وهناك مراتب متفاوتة بين ذلك، وهناك الوضاعون[1].

منهج نقد متن الحديث الشريف:

وضع العلماء قواعد علمية للتثبت من صحة معنى الحديث شرعاً وعقلاً.

وترجع بدايات هذا المنهج أيضاً إلى الصحابة ﷺ، ومن ذلك:

عن فاطمة بنت قيس: (**أَنَّ زَوجَهَا طَلَّقَهَا ثَلاثَاً، فَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا رَسولُ اللّهِ ﷺ سُكْنَى وَلا نَفَقَةً... قَالَ الأسوَدُ بنُ يَزِيدٍ: قَالَ عُمَرُ: لا نَتْرُكُ كِتَابَ اللّهِ وَسُنَّةَ نَبِيّنَا ﷺ لِقَوْلِ امْرَأَةٍ، لا نَدْرِي لَعَلَّهَا حَفِظَت أَوْ نَسِيَتْ، لَهَا السُّكْنى وَالنَّفَقَةَ، قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾(الطلاق: ١))[2].

وقد طوّر العلماء بعد الصحابة ﷺ هذا المنهج، ووضعوا قواعد علمية دقيقة للتثبت من صحة معنى الحديث الشريف، منها: عدم مناقضة القرآن الكريم، أو الأصول العامة للدين، أو معطيات العقل والمنطق السليم، أو حقائق التاريخ الثابتة، حتى إذا خالف متنُ الحديث شيئاً من ذلك، رده العلماء، واتخذوا هذه المناقضة دليلاً على أنه لا يمكن أن يصدر من النبي ﷺ، وإن ورد بسند صحيح، مما يؤكد احتمال وهم بعض الرواة أو خطئهم.

---

(1) **عتر:** د. نور الدين، **منهج النقد في علوم الحديث**، مرجع سابق، ص ٣٢ - ٣٣، ٩٢ - ٩٣.

(2) رواه **مسلم:** مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها، حديث رقم: ١٤٨٠، ج٢، ص١١١٤، وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد اختصاراً هكذا: رواه **مسلم**.

ووما تجدر الإشارة إليه هنا أن تعارض الحديث مع القرآن أو الحقائق الثابتة لا يُحكم به لمجرد التعارض الظاهري، لأنه الأفهام قد تختلف؛ فقد يغيب الفهم الصحيح للحديث عن ذهن المسلم، وهنا يجب عليه أن يستفرغ وسعه في فهم الحديث وسؤال أهل العلم، حتى لا يقع في معضلة رد السنة جزافا دون أدنى علم.

أتأمل: عندما يعجز إنسان عن فهم مسألة في الرياضيات أو في علم البلاغة فإنه يتهم عقله وفهمه ثم يحاول فهمها بإعادة التأمل وسؤال أهل الاختصاص.

ولكن العجيب أن هذا المنهج لا يعمل به كثير من الناس في فهم الحديث النبوي، فتراهم يسارعون إلى رد الحديث والحكم بخطئه لمجرد أنهم عجزوا عن فهمه! أولا يُعد هذا تناقضا منهجيا عجيبا؟!

تدوين السنة النبوية مميزاً فيها

بدأ تدوين السنة مبكرا في ع
كان بصورة فردية، كصحيفة ع
بعدهم من التابعين وأتباعهم[٢].

ثم تُوِّجَ ذلك بحركة تدوين رسمية واسعة وشاملة، بدأت في **بداية القرن الهجري الثاني** بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز، حيث دونت أحاديث النبي ﷺ في دوواين كبيرة دون ترتيب معين، ثم تطورت حركة التدوين لتصنيف ما دُون وفق أكثر من طريقة؛ وكان القرن الثالث الهجري هو العصر الذهبي في تصنيف الحديث النبوي، حيث قام العلماء بتدوين كل ما ورد عن النبي ﷺ، مميزين في ذلك، وعلى أساس المنهج العلمي الذي وضعوه، بين الصحيح والضعيف والموضوع، وقد أبدعوا في ذلك تصنيفاً وترتيباً.

فمِنَ العلماء مَن رتب الأحاديث الشريفة حسب اسم من يرويها من الصحابة ﷺ، بحيث تُجمع الأحاديث الشريفة التي رواها كل صحابي في موضع خاص بها، فمثلاً تُجمع أحاديث أبي هريرة ﷺ في موضع، وأحاديث ابن عباس ﷺ في موضع، وهكذا. وتعرف هذه الطريقة بطريقة **المسانيد**، مثل مسند الإمام أحمد.

ومنهم من رتبها أبواباً حسب موضوع الحديث الشريف، بحيث تُجمع الأحاديث الشريفة التي في موضوع معين تحت باب خاص بها، فمثلاً تُجمع الأحاديث الشريفة الواردة في الإيمان تحت باب الإيمان، والأحاديث الشريفة الواردة في الجهاد تحت باب الجهاد، وهكذا.

---

(١) حديث عن أبي هريرة أن ابن عمرو بن العاص كان يكتب ولا أكتب، رواه **مسلم**، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، حديث رقم: ٣٠٠٤، ج٤، ص٢٢٩٨.

(٢) انظر: الأعظمي، محمد مصطفى: **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**، طبعة المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ_١٩٨٠م. (٨٤/١)، وما بعدها.

وقد سميت الكتب التي صنفت على هذا النحو **بالجوامع وبالسنن**، مثل الكتب الستة، وهي: صحيح البخاري وصحيح مسلم وجامع الترمذي وسنن النسائي وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه.

وبعض العلماء خصوا الأحاديث الصحيحة بمؤلفات خاصة، مثل: صحيح البخاري وصحيح مسلم.

وبعض العلماء خصوا الأحاديث الموضوعة بمؤلفات خاصة للتحذير منها، مثل: كتاب "الموضوعات" لابن الجوزي.

وبعض العلماء ألفوا في الأحاديث الشريفة التي يكثر ترددها على ألسنة العامة، فبينوا حكمها ودرجتها، مثل: كتاب المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام السخاوي[1].

أتعلم: يطلق العلماء على الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم مصطلح: (رواه الشيخان)، أو (متفق عليه)، وعلى الحديث الذي رواه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة مصطلح: (رواه الأربعة)، وإذا انضم إلى الأربعة البخاري ومسلم قالوا: (رواه الستة)[2].

هل السنة دونت بعد النبي ﷺ بمئتي عام؟

يدعي بعض الناس أن السنة دونت بعد وفاة النبي ﷺ بمئتي عام، وهذه دعوى لا أساس لها، فالسنة دونت بصورة رسمية مع نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني، أي إن من دونها هم التابعون الذين أخذوها من الصحابة رضي الله عنهم، وكان دور من بعدهم من العلماء هو الترتيب والتصنيف والدراسة لهذه المرويات المكتوبة، والمنقولة سماعا. فالإمام البخاري على سبيل المثال لم يخترع أحاديث صحيحه، وإنما انتقاها من عدد كبير من الأحاديث التي صحت، ثم ضمنها كتابه.

([1]) **عتر:** د. نور الدين، **منهج النقد في علوم الحديث**، مرجع سابق، ص ١٩٧ - ٢١٠.

([2]) **الصالح:** د. صبحي، **علوم الحديث ومصطلحه**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٧٨م، ص ١١٧

مزايا السنة النبوية:

تتوافر في السنة النبوية مزايا كثيرة من حيث الأسلوب والمضمون، لم تجتمع في كلام بشر آخر، وذلك من دلائل نبوته ﷺ، ومن أهم هذه المزايا[1]:

١ - إيجاز اللفظ وغزارة المعانى

تتسم الأحاديث النبوية الشريفة بالتعبير عن معانٍ كثيرةٍ في ألفاظ قليلة، وذلك لأنه ﷺ أوتي جوامع الكلم، ومن أمثلة ذلك:

قوله ﷺ: **(الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)**[2].

وقوله ﷺ: **(إِيَّاكُم وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَنَّ أَكذَبُ الحَدِيثِ)**[3].

وقوله ﷺ: **(اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)**[4].

٢ - دقة التشبيه

زخرت الأحاديث النبوية بالتشبيهات الدقيقة والأمثلة التوضيحية العميقة، وهو أسلوب عظيم الأثر في تقريب المعاني المجردة إلى الأذهان، ومن ذلك:

قوله ﷺ: **(تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْواً، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)**[5].

وقوله ﷺ: **(أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا قَالَ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا)**[1].

---

(١) اعتمدنا في هذه المزايا بتصرف على: **الصباغ**: محمد بن لطفي، **الحديث النبوي**، مرجع سابق، ص ٥٤ - ٩٩.

(٢) رواه **البخاري**، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث رقم: ١٠، ج١، ص١٣.

(٣) رواه **البخاري**، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، حديث رقم: ٤٨٤٩، ج٥، ص ١٩٧٦، وكتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، حديث رقم: ٥٧٧، ج٥، ص ٢٢٥٣، ورواه **مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، حديث رقم: ٢٥٦٣.، ج٤، ص١٩٨٥.

(٤) رواه **الترمذي**، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في معاشرة الناس، حديث رقم: ١٩٨٧، ج٤، ص٣٥٥، قال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح**، وقال الألباني: **حديث حسن**.

(٥) رواه **البخاري**، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: ٥٦٦٥، ج٥، ص٢٢٣٨، ورواه **مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين، حديث رقم: ٢٥٨٦، ج٤، ص١٩٩٩.

وقوله ﷺ: (**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا**)[٢].

٣ - عمق المعانى

تتصف السنة النبوية بعمق معانيها، ومن أمثلة ذلك:

قوله ﷺ: (**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**)[٣].

فقد ربط الحديث الشريف بين الصدق والبر من جهة، وبين الكذب والفجور من جهة أخرى، لأن المرء إذا عزم أن يكون صادقاً في كل ما يقول، فإنه لن يقدم على عمل ما يستحي أو يخشى من الصدق في الإخبار عنه، لئلا يضطر إلى الكذب، وهكذا تستقيم أعماله ويصل إلى درجة الصديقين.

وقوله ﷺ: (**لَا تَدخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنُوا، وَلَا تُؤمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُم عَلَى شَيءٍ إِذَا فَعَلتُمُوهُ تَحَابَبتُم، أَفشُوُا السَّلامَ بَينَكُم**)[٤].

فإلقاء السلام بين الناس من أكثر ما يزيد الود والتعارف بينهم ويزيل الوحشة والنفرة منهم.

٤ - تصحيح المفاهيم

صححت السنة النبوية كثيراً من المفاهيم الاجتماعية غير الصحيحة، والخرافات التي كانت سائدة في المجتمعات، ومن أمثلة ذلك:

نهيه ﷺ عن الطِيَرَة ونفيه أي أثر لها في الواقع[٥].

---

(١) رواه **البخاري**، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، حديث رقم: ٥٠٥، ج١، ص١٩٧.

(٢) رواه **البخاري**، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، حديث رقم: ٢٣٦١، ج٢، ص٨٨٢.

(٣) رواه **البخاري**، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (التوبة: ١١٩) وما ينهى عن الكذب، حديث رقم: ٥٧٤٣، ج٥، ص٢٢٦١.

(٤) رواه **مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون...، حديث رقم: ٥٤، ج١، ص٧٤.

(٥) الحديث: (**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ وَفِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنْ الْأَسَدِ**)، رواه **البخاري**، كتاب الطب، باب الجذام، حديث رقم: ٥٣٨٠، ج٥، ص٢١٥٨.

والطِيَرَة هي التشاؤم، فقد كان الناس في الجاهلية، إذا أراد أحدهم الشروع في أمر، أفلَتَ من يده طائراً وتركه يطير، فإن طار يمنةً تفاءَل ومضى في عمله، وإن طار يسرةً تشاءم وأحجم عما كان مزمعاً على فعله.

ولا يزال بعض الناس إلى يومنا هذا يتشاءمون بيوم معين، أو رقم معين، أو لون معين، أو شخص معين، على عادة أهل الجاهلية المقيتة.

أفكر: يعتقد من يتشاءمون بشيء معين، أن ما يتشاءمون منه يحدث دائماً أو غالباً على أقل تقدير، كيف يمكن تفسير هذا الاعتقاد؟!

وقوله ﷺ: **(لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ)**[1].

فقد يظن بعض الناس أنه لا يصدر الحِلم إلا من الضعيف، وأن حاد المزاج الذي يرد الصاع صاعين كما يقولون، هو القوي، فصحح الحديث الشريف هذه النظرة.

الإعجاز في السنة النبوية:

تضمنت السنة النبوية أوجهاً من الإعجاز، لا يمكن أن يتضمنها كلام بشر، وذلك من الأدلة على نبوة النبي ﷺ، نذكر منها:

الإعجاز الغيبي والإعجاز العلمي.

الإعجاز الغيبي في السنة النبوية

وهو: إخبار النبي ﷺ بالأحداث قبل أن تقع، فتقع كما أخبر.

وأمثلة ذلك كثيرة، منها:

تنبؤ النبي ﷺ بالشهادة لعمر وعثمان رضي الله عنهما، وقد قتلا شهيدين فعلاً، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: **(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ)**[2].

وتنبؤه ﷺ بمقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه على يد جيش معاوية، وهو ما حدث سنة أربعين للهجرة، وذلك قوله ﷺ : **(تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ)**[1].

([1]) رواه **البخاري**، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم: ٥٧٦٣، ج٥، ص٢٢٦٧.

([2]) رواه **البخاري**، كتاب المناقب، باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً، حديث رقم: ٣٤٧٢، ج٣، ص ١٣٤٤، وحديث رقم: ٣٤٩٦، ج٣، ص ١٣٥٣.

الإعجاز العلمي في السنة النبوية

وهو: إخبار النبي ﷺ بحقائق علمية لم تكن معروفة في عصره، جاء العلم الحديث وأكد صحة ما أخبر به النبي ﷺ وصدقه، ومن أمثلة ذلك:

١) عَجْبُ الذنب

جاء في الحديث الشريف: (**لَيْسَ مِنْ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[٢].

وقد كشف العلم الحديث أن تكوين الإنسان يبدأ بشريط أولي، يظهر في اليوم الخامس عشر من عمر الجنين، ثم تبدأ الانقسامات المتتالية لتكوين الجنين وأجهزته بفعل نشاط هذا الشريط، وهكذا يبدأ الجنين يتكون وينمو بسرعة ليصير إنساناً بإذن الله تعالى.

ويبدأ هذا الشريط في الاندثار منذ الأسبوع الرابع، ولا يبقى منه إلا أثر في العظم العصعصي، أسفل الظهر، وهو ما أسماه النبي ﷺ عجب الذنب[٣].

٢) ولوغ الكلب

جاء في الحديث الشريف: (**طَهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ، أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولاهُنَّ بِالتُّرَابِ**)[٤].

وقد كشف العلم الحديث أن الكلب تعيش في أمعائه دودة تسمى (تيتا إكنياكوكس)، تخرج بيوضها مع برازه، وبما أن الكلب كثيراً ما يقوم بلحس جسمه، فإن هذه البيوض قد تعلق بلسانه وتنتقل منه إلى الأواني التي يلعقها، فتدخل إلى أمعاء مستخدميها، ومنها تتسرب إلى الدم والدماغ، وقد يصل الأمر إلى حد الشلل الدماغي أو الموت أحياناً.

وقد وجد العلماء أن هذه البويضات لا تموت بالغسل ومساحيق التنظيف العادية، وأن التراب يحتوي بكتيريا خاصة هي وحدها القادرة على قتلها[٥].

---

(١) رواه **مسلم**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم: ٢٩١٦، ج٤، ص٢٢٣٦.

(٢) رواه **البخاري**، كتاب التفسير، باب تفسير سورة النبأ، حديث رقم: ٤٦٥١، ج٤، ص١٨٨١.

(٣) **البار**: د. محمد علي، **خلق الإنسان بين الطب والقرآن**، مرجع سابق، ص ٢٣٨ - ٢٤٠.

(٤) رواه **مسلم**، كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب، حديث رقم: ٢٧٩، ج١، ص٢٣٤.

(٥) **عبد الصمد**: محمد كامل، **الإعجاز العلمي في الإسلام: السنة النبوية**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٤، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧م، ص٥٠ - ٥٢.

٣) الحبة السوداء

جاء في الحديث الشريف: **(الْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلَّا السَّامَ)**[١].

وقد أثبتت البحوث العلمية أن الحبة السوداء لها أهمية كبرى كمنشط طبيعي للمناعة وتحسين فعالية الخلايا الطبيعية، وتلعب دوراً مهماً في علاج الإيدز وغيره من الأمراض التي تصاحب نقص المناعة[٢].

أي أن الحبة السوداء تعمل على تقوية المناعة، وحيث إن المناعة هي التي تقف سداً منيعاً في وجه كل داء، كانت الحبة السوداء كما وصفها الحديث النبوي أنها: **(شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ)**.

قواعد في التعامل مع السنة النبوية وفهمها[٣]:

لا بد للتعامل الصحيح والفهم السليم للسنة النبوية من مراعاة جملة من الأمور، من أهمها:

١- **التمييز بين الصحيح والضعيف:** لا بد من التأكد من صحة السنة قبل البناء عليها، وعدم الاعتماد على الحديث الضعيف والموضوع منها. وتزداد أهمية هذا الأمر في مجال الأحكام وفي مجال القيم والمقاصد العامة فضلاً عن مجال العقيدة.

٢- **فهم الأحاديث في ضوء القرآن الكريم.**

٣- **ملاحظة الملابسات التي ورد الحديث فيها:** إن ملاحظة الملابسات والظروف التي أحاطت بالحديث حين صدر عن النبي ﷺ يُلقي ضوءاً على المعنى المقصود منه، ويُساعد على فهمه.

٤- **فهم الحديث في ضوء مبادئ القرآن ومقاصده:** السنة خادم للقرآن بالبيان والتوضيح، وليس من المقبول شرعاً ولا عقلاً فهم السنة فهماً يخالف مبادئ القرآن ودلالاته ومعانيه.

٥- **فهم الأحاديث بمجموعها:** إن الأحاديث النبوية صدرت عن النبي ﷺ الذي لا يمكن أن يتناقض كلامه، لأنه لا يتكلم إلا عن وحي، وبالتالي فإنه ليس من المقبول ولا المعقول الاجتزاء بفهم حديث أو الاكتفاء بالأخذ به، وكأن الدين كله مبني على هذا

---

(١) رواه **البخاري**، كتاب الطب، باب الحبة السوداء، حديث رقم: ٥٣٦٤، ج٥، ص٢١٥٤، ورواه **مسلم**، كتاب السلام، باب التداوي بالحبة السوداء، حديث رقم: ٢٢١٥، ج٤، ص١٧٣٥، والسام: الموت.

(٢) **عبد الصمد**: محمد كامل، **الإعجاز العلمي في الإسلام: السنة النبوية**، مرجع سابق، ص٨٠ - ٨١.

(٣) أنظر:**القرضاوي**، د. يوسف، **كيف نتعامل مع السنة النبوية**، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢.

الحديث، مع إغفال غيره من الأحاديث، التي يُعطي مجموعها فهماً كلياً صحيحاً وصورة متكاملة عن الموضوع.

٦- **فهم الحديث في ضوء الحقائق العلمية المعاصرة.**